الفصل الثاني

ولادة النهضة الهندوكية ونتائجها

إن رسوخ القوة البريطانية في الهند أتاح الفرصة أمام الهنادكة لتنفيذ مخططاتهم القائمة في أذهانهم منذ أمد طويل ألا وهي تأسيس إمبراطورية هندوكية. وكانت تلك المخططات معلقة بسبب هيمنة السياسة الإسلامية على البلاد وكانت الخطوة الأولى في هذا الاتجاه هي حل الشركة مع المسلمين التي كانت متألقة فيما مضى والتي تعود إلى أيام سلطنة دلهي يوم كان للمسلمين شأن عظيم والرجوع إلى فترة ما قبل الإسلام والهنادكة لاستلهامها.

نشوء القومية الهندوكية:

يعتبر المصلحون الهنادكة في القرن التاسع عشر رواد عهد النهضة الهندوكية ونذكر منهم في المقام الأول العالم المهيب راجا راموهن راي[1] (١٧٧٢-١٨٣٣) المؤسس المشهور لبرهموسماج التي تمثل النبضة الأولى لنزعة العنصرية في الهندوكية. وهو شديد الإعجاب بالفكر الإسلامي ومتأثر جداً بدراسته للثقافة الإسلامية ومنها القرآن الكريم كما أنه متأثر بأفكار الصوفية وقد أصبح مسلماً من الناحية الثقافية حتى إنه ذهب إلى إنكلترا كسفير لآخر إمبراطور مغولي لكي يدافع عن قضيته ولكنه كان في داخل نفسه هندوكياً بحتاً، إن رغباته العميقة التي صاغها بعبارات متحررة مثل تعاليمه الدينية، تلك الرغبات التي تمثلت في نشاطاته، كانت تهدف إلى إعادة الهنادكة إلى تعاليم الويد، وقد توجهت جميع جهوده إلى حماية الهندوكية وإصلاحها، ولكنه لم يكن يزعج نفسه لخدمة أبناء بلده من المسلمين، وهكذا يعتبر أحد مؤسسي القومية

(١) RAJA RAMMOHUN ROY راجا راموهن راي

الهندوكية المعاصرة. وذكر عالم هندوكي أن راجا راموهن راي بعد أن خلق[1] من جديد بفضل دراساته الخاصة ونفاذ بصيرته وضع أمام عينيه منظراً شاملاً وعريضاً لفلسفة الاوبنشد[2]. وقد عرف را موهن راي عظمة هذه الفلسفة وعمل على إيقاظ الثقة الذاتية عند الهنادكة بماضيهم العريق.

وجاء بعد راموهن راي داننداا سارسواتي فحمل الراية ومشى على طريقته وهو من إقليم كجرات وهو الذي أطلق شعار: الهند للهنادكة. وكان في برامجه يجب أن تكون الهندوكية الدين الوحيد لشبه القارة ويجب أن يكون الهنادكة هم الأسياد الوحيدون فيها. أما المسلمون فهم غرباء عن البلاد ويجب طردهم منها خارجاً، لهذا كان من الضروري ألا يطهّر الهنادكة دينهم فقط بل عليهم الرجوع إلى الهندوكية القديمة وتجنب جميع الانحرافات المعاصرة وبالإضافة إلى ذلك يجب حماية الدين الهندوكي من الانتهاكات التي يقوم بها المسلمون والمسيحيون. فلا عجب أن يستنكر داننداا أكل لحم البقر، ويؤسس عام ١٨٨٢ جمعية من أجل حماية البقرة ويصدر قانوناً للشفقة على البقرة لكي يحرض الهنادكة ضد قتل البقرة من قبل المسلمين. والأهم من هذا كله اخترع للهندوكية سلاحاً جديداً لتحارب به المسلمين وهو سلاح التحول الفردي من صفوف المسلمين والمسيحيين إلى الدين الهندوكي، وكان هذا العمل في الواقع عاملاً ثورياً لصالح الهنادكة إلا أنها الآن أعني الهندوكية لم تعد تصدق بالتحول الفردي.

نشر داننداا أفكاره من خلال حزب آريا سماج وهي منظمة إحيائية (أي إحياء الماضي) قام بتأسيسها سنة ١٨٧٥ وكان له دور حاسم في وضع قاعدة القومية الهندوكية على أساس حضارة الهنادكة وتاريخهم، وقد اعتبرت هذه المنظمة أن العهد الويدي هو المثال الذي يجب أن يحتذى، وعملت بجهد على إقناع أتباعها بإعادة تأسيس وإنعاش النقاء القديم للحضارة الهندوكية القديمة.

---

(١) يقصد بخلق من جديد انه كون نفسه تكويناً جديداً بسبب دراساته.

(٢) أحد كتب الهنادكة المقدسة.

لقد أصبحت هذه الحركات الإحيائية الهندوكية وغيرها التي أشبعت بنزعة التحيز ضد المسلمين، في السنوات التالية، أساساً وقاعدة للحركة القومية الهندوكية ولا عجب أن يقوم سيتارامايا المؤرخ الرسمي لحزب الكونغرس بوصف هذه الحركات على أنها حركات قومية جادة وأضاف قائلاً: (كانت جميع هذه الحركات عبارة عن مجار مائية عديدة تصب في بحر القومية الهندوكية ويتوجب على الأمة استنباط تركيب يجعلها قادرة على تبديد التحيز والخرافات وإحياء الدين القديم وتطهيره والتوفيق بينه وبين القومية في العصر الحديث. ويقع على عاتق الكونغرس مسؤولية إنجاز هذه المهمة العظيمة).

ويقول (بالم دوت)[1]: (في الموجة العظيمة الأولى لليقظة القومية في سنوات ما قبل الحرب حاول قادة الحركة القومية المناضلة بناء قاعدة للدين الهندوكي من أجل إثارة الهنادكة وحاولوا أيضاً التوفيق بين اليقظة القومية والنهضة الهندوكية).

وبحسب رأي كاتب هندوكي آخر يقول: (قدمت القومية الهندوكية نفسها في الملابس الواسعة للدين الهندوكي فاخترعت الرايات والأغاني واستنبطت الرموز والشعارات التي تعتبر هندوكية من الناحية النموذجية فأغنية بنده ماترام أو (تحية الأم) التي سرعان ما أصبحت النشيد الوطني للبلاد وردت في كتاب ليكون إلهاماً للشعور الوطني فأصبحت الأصل والخلفية في العداء الهندوكي الإسلامي)، على الرغم من أنه كتب ليثير المشاعر القومية للقارىء وكتبت الأغنية بلغة سنسكريتية بغالية راقية وهي تزخر بالمشاعر الدينية الهندوكية. وبالتالي لا يستطيع المسلمون في هذا الصرح العظيم للقومية الهندوكية أن يتأملوا بمكان محترم لهم.

ويعود الفضل الكبير في الرمز إلى الهندوكية المناضلة إلى تيلاك المحب للخصام إذ أضفى تيلاك أكثر من أي شخص آخر في العقود الأخيرة من القرن الماضي على القومية الهندوكية تحيزاً طائفياً ومناهضاً للمسلمين. إذ أنه لم يقم

(١) PALME DUTT

بإلقاء العداوة بين الهنادكة وشعب الهند بل إنه صور المسلمين أيضاً على أنهم شعب قذر وغريب عن البلاد ولأنه كان متحمساً جداً لتأجيج روح النضال بين صفوف الهنادكة فإنه قام بإحياء احتفاء (غانيش)[1] وشن حركة ترمي إلى تبسيط ما عرف بدين شيفاجي.

يبدو أن احتفالات (غانيش)[1] العامة نشأت من حركة ضد المحمديين، بدأت بعد حوادث الشغب التي انفجرت في مدينة بمبي عام ١٨٩٣ بين الهنادكة والمحمديين وأنها كانت ترمي إلى أن تجعل من الموكب الذي انتقل منه الإله إلى مكان راحته الأخير في الماء أمراً مهيناً قدر الإمكان بالنسبة إلى المحمديين وذلك بوصفهم في الصورة ذاتها في احتفال محرم عندما يلقون بالتوابيت[2] التي تمثل قبور شهداء كربلاء في البحر أو في النهر.

ستقوم جماعة تيلاك الشابة المختصة برياضة الجمباز والتي تشكل روح هذه الحركات المشاغبة بتقديم مباريات سخرية وإطلاق شعارات النضال قاصدة بذلك إثارة الشجار بين المحمديين والشرطة.

كذلك تأمل تيلاك أن يقوم باحتفال (غاناباتي) الشعبي جماعة من الهنادكة وجهاً لوجه مع المسلمين ليخلق أسباباً للشجار. ومن أجل رفع معنويات الهنادكة

---

(١) GANISH أو GANAPATI

(٢) التوابيت التي عناها هي في الحقيقة عبارة عن هوادج كبيرة تبلغ أحياناً بضعة أمتار ارتفاعاً يصنعها أهل الشيعة في العاشر من محرم ويطوفون بها شوارع كل مدينة فيها شيعة وقد يشارك السنيون إخوانهم الشيعيين بهذه الاحتفالات لأنها تصبح مثل عيد وتسلية للجميع وهم يعتبرون هذه الهوادج مقدسة فبعد أن ينتهوا من الطواف بها في شوارع المدينة يلقونها في نهر إن كانوا على شاطىء نهر أو في البحر لكي لا تهان. ومن لطيف ما حدث مرة أن أحد هذه الهوادج التي يسمونها (تعزية) كانت عالية جداً بحيث أنهم حينما وصلوا إلى مكان فيه شريط كهربائي كان الهودج أعلى من الشريط فاحتاروا كيف يمرون به من تحته ولا يجوز تنكيسه في نظرهم فظلوا فترة يفكرون في قطع الشريط أو في إنزال الهودج إلى الأرض حتى يستطيع أن يمر حتى أتى شخص وقال لهم: احنوا رأس الهودج قليلاً فإنه يمر وهكذا كان ولم يحتاجوا إلى قطع شريط الكهرباء ولا الانقاص من الهودج.

إلى أقصى حد حاول تيلاك في وقت واحد إنعاش مجد شيفاجي وجعله مركزاً لإنعاش الهنادكة، وقد تعامل ببراعة مع أهواء (المرتهيين) وعظم شيفاجي على أنه (بطل قومي)، وكذلك أطرى بإفراط الجريمة المخططة ببراعة لقتل أفضل خان قائد المغول الذي أغمد شيفاجي مخلب النمر الشهير في أحشائه (ومخلب النمر هذا هو قفاز معقوف من المعدن) بينما كان ينحني لتحية شيفاجي في مؤتمر من المفروض أنه مؤتمر سلمي عقد في منتصف المسافة بين الجيوش المتنافسة وبتفويض من جيتا أكد تيلاك بأن العظماء من الرجال أمثال شيفاجي هم فوق المبادىء العامة للفضيلة وأن جريمة أفضل خان كانت هدفاً جديراً بالثناء ولمصلحة الآخرين.

وخلال عام ١٨٩٣-١٨٩٤ كانت هناك حوادث شغب في بمبي وبونا اتسمت بالقسوة المتزايدة ونجم عنها ٧٥ قتيلاً و٣٠٠ جريح وكانت هذه الحوادث بالنسبة إلى تيلاك كما قال السيد (فالنتين كيرول): «فرصة لنشر الحركة الجديدة وذلك باستغلال مشاعر الناس القديمة ضد المحمديين لنصرة هذه القضية». فلم يدع فقط إلى اجتماعات شعبية أخذت فيها بلاغته الملتهبة تصف المحمديين على أنهم أعداء الهندوكية ولكنه أنشأ منظمة عرفت بمنظمة (إدانة قتل البقرة) وقصد منها إثارة مباشرة للمحمديين الذين لم يعتبروا أكل لحم البقر تدنيساً للمقدسات.

وقامت حملة تيلاك التبشيرية ضد المسلمين بتبرير كلمات كيرول بإسهاب: «إذا دخل اللصوص بيتنا ولم نكن نملك القوة الكافية لطردهم خارجاً فعلينا دون تردد أن نغلق الأبواب في وجوههم ونحرقهم وهم أحياء. لم يمنح الإله للغرباء الهبة المنقوشة على الصحيفة النحاسية لمملكة هندوستان وقد ناضل شيفاجي لطردهم بعيداً عن مسقط رأسهم وهو بذلك لم يرتكب إثم اشتهاء الحصول على ما يملكه غيره». وقال: «لا تحصر رؤيتك مثل ضفدع في بئر، ابتعد عن قانون العقوبات وادخل في الجو الرفيع الذي يعيش فيه الصلحاء وانظر إلى أعمال العظماء من الرجال».

في البريق المنعكس لتمجيد شيفاجي وقف تيلاك على أنه قائد الأمة المقرر وقد ضربت تعليماته على الوتر الحساس في قلب الهنادكة حتى إنه بلغ مرتبة التمجيد من قبل القادة الأوائل للكونغرس القومي الهندوكي الذي تأسس عام ١٨٨٥.

إن وضع تيلاك في السجن لإثارة الاستياء عام ١٨٩٧ دفع (سورندرا نات بانرجي) للرثاء في دورة الكونغرس في (امروتي) عام ١٨٩٧ قائلاً: «إن الأمة تذرف الدموع. وفي الحال أصبحت القضية التي كرس تيلاك نفسه لخدمتها قضية عدد كبير من الهنادكة المتطرفين وخاصة في البنغال ومن بين هؤلاء المؤيدين الأوائل لفلسفة تيلاك: (بيبن تشاندرا بال)[1] و(ارافيندرا غوز)[2] و(شاترجي)». وكان تيلاك ينشر تعاليمه في صحيفة كيسارى[3]، وفي البنغال في صحيفة يوغنتر[4] (العهد الجديد)، التي كان يحررها بهوبندرا نات دوت شقيق سوامي فيفيكا نندا وقد لعبت هذه الصحيفة دوراً مماثلاً للدور الذي لعبته صحيفة كيسارى.

استوحى الهنادكة فكرة القومية من الدين وبتشجيع من الإنكليز للوصول إلى قوميتهم الجديدة واندفعوا بكراهيتهم العميقة للمسلمين لذا وجدوا أنفسهم الآن في موضع مناسب للتعامل مع المسلمين بشكل فعال. وكانوا يطالبون - بإلحاح - بإيجاد نظام نيابي للحكومة على الطريقة البريطانية ويعنون بذلك فرض حكم الأكثرية الهندوكية على الأقلية البائسة من المسلمين، ولتحقيق ذلك حاول هذا النظام بذكاء إخفاء دوافعه بتوسيع مفهومه عن القومية الهندية لكي يشمل الهنادكة والمسلمين إلا أن السيد أحمد خان أسرع سنة ١٨٨٣ وحذر المسلمين والبريطانيين من هذا الخطر المتفاقم. وعندما تأسس حزب

---

(١) BEPIN

(٢) ARAVINDA GHOSE

(٣) معناها الأسد.

(٤) YUGANTER ومعناها العهد الجديد.

الكونغرس أشار على جماعته ومساعديه الدينيين أن يبتعدوا عن هذا الحزب وإلا فإنهم سيغرقون جميعاً في الفيضان المتصاعد للقومية الهندوكية المتمثل بالكونغرس.

وقد أشار مراقب أوروبي في بداية عام ١٩٠٠ إلى ذلك بقوله: إن الحزب القومي سوف يعني إحلال القومية الهندوكية محل الوطنية الهندية الحقيقية ولن يستطيع المسلمون والبوذيون المشاركة به دون تحفظات شديدة. ويقول بالم دوت: «إن التأكيد على جعل الدين محور الحركة القومية يعني إبعاد فريق كبير من المسلمين عن الحركة الوطنية».

النتيجة عندما أصبح معروفاً أن المؤسسات الشعبية وضعت قيد التأسيس قام وفد مفوض عام ١٩٠٦ من مشاهير المسلمين بالمطالبة بتمثيل نيابي مستقل وحصلوا على ذلك عام ١٩٠٩، وقد لاقت النهضة الإسلامية دافعاً آخر بعد إنشاء الرابطة الإسلامية لعموم الهند ولم يبق الهنادكة مراقبين صامتين أمام التحرك الإسلامي بل أنشأوا جهازاً موازياً في العام نفسه أي سنة ١٩٠٦ تحت اسم هندومهاسبها يهدف إلى مراقبة وحماية مصالح الجماعة الهندوكية في جميع الحالات وظل الهنادكة حتى نحو سنة ١٩١٥ يعملون ثم أخذوا ينزعون إلى القضاء على الوجود الإسلامي المستقل من مسرح السياسة الهندي وبعد ذلك وبموجب معاهدة لكهنو عام ١٩١٦ التي اعترف فيها الكونغرس بحق المسلمين بالانتخابات المستقلة بدأت فترة من التعاون بين الهنادكة والمسلمين وصلت إلى الأوج في عهد حركة الخلافة وحركة عدم التعاون ما بين عامي ١٩٢٠ و١٩٢٢ التي كانت بزعامة مو هنداس كرم تشاند غاندي[1]. ولكن بعد حل هذه الحركة ظهر العداء الهندوكي ضد المسلمين ثانية ولكن بقوة مضاعفة وبدا ذلك واضحاً في نشاط بعض قادة الهنادكة.

أصبح سوامي تشاندرا نند الذي فتح صدره أمام رصاص البنادق في دلهي وطلب منه أن يقف في المسجد الجامع ويخاطب المسلمين، وهو شرف مميز

(١) هذا اسم غاندي وهو يدل على أنه من الطبقة الدنيا الثالثة.

لغير المسلمين أن يحصلوا عليه، أصبح هذا الزعيم المتسامح الآن القائد المثير للطائفية. وبدأ بتنظيم حركات شودهي وسانغاتان. ويعتبر لالا راجبات راي المؤسس الشجاع للقومية الهندوكية أحد الأبطال البارزين للطائفية الهندوكية، وفي عام ١٩٢٣ تم الاعتراف بالمهاسبها الهندوكية وبعد عامين أي في ١٩٢٥ أنشىء الجناح المكافح للمهاسبها وهو الذي يعمل في الوقت الحاضر بشكل مكتوم وبسرية تامة. وقد اعترف رجال المهاسبها الهنادكة على أنهم أمة قائمة بذاتها ولا مكان للمسيحيين والبارسيين في مفهومها على القومية الهندوكية وكان هدفها السياسي تأسيس حكم ذاتي هندوكي بحت.

في عام ١٩٢٥ ظهر كتاب على درجة كبيرة من الأهمية تحت عنوان: (أفكاري الشخصية) بقلم لالا هارديال وصفه كاتبه بأنه وصيته السياسية واهتمت الصحافة الهندوكية به اهتماماً كبيراً وعملت له دعاية واسعة. ويقول الكاتب المذكور: «إذا كانت هناك أية إمكانية للمشاركة بين الهنادكة والمسلمين فإن ذلك يكون كما هي الحال في الولايات الهندوكية أو كما كان العرف سائداً في عهد المهاراجا (رنجيت سنغ). أي أن تعود إدارة الولاية إلى الهنادكة ويمكن أن يعيش المسلمون فيها ولكن لا يمكن أن تعود الولاية إلى المسلمين ولا أن تكون الإدارة مشتركة بين الهنادكة والمسلمين، والسبب في ذلك هو أن كل ولاية تعتمد كلية على عاداتها ولغتها القومية وتاريخها القومي.

ويمكن وضع تصنيفين للولايات الحالية: الولايات الإسلامية والولايات الهندوكية ويقيم الهنادكة في الولايات الإسلامية وكذلك يعيش المسلمون في الولايات الهندوكية إلا أن إيجاد ولاية هندوكية إسلامية مشتركة فهو حماقة، ولا يمكن أن توجد مثل هذه الولاية تحت أية ظروف، لهذا نرغب بتأسيس ولايات على نمط ولاية (بارودا) أو كشمير ولسنا على استعداد لتقديم التضحيات لإيجاد ولايات شبيهة ببهاولبور[1] أو حيدرآباد، أعتقد أن وجهة نظري أصبحت واضحة الآن.

---

(١) كانت من الامارات الاسلامية ذات الشأن.

إننا لا نحتاج إلى مساعدة المسلمين للحصول على الحكم الذاتي ولا نرغب كذلك في تأسيس حكم مشترك، لا تنظروا إلى المناطق غير الهندوكية، فإذا حصلتم على الحكم الذاتي بمساعدة المسلمين فسيظل اعتمادكم عليهم أبدياً. لهذا دعوهم يعيشون وحدهم».

يقتبس الدكتور امبدكار أيضاً هذا النص من الوصية ويقول: «أصرح بأن مستقبل العرق الهندوكي في هندوستان وفي البنجاب يعتمد على أربع دعامات وهي:

١ ـ سنغاتان هندوكي. ٢ ـ حكم ذاتي هندوكي. ٣ ـ شدهي المسلمين. ٤ ـ غزو أفغانستان[1] والحدود الشمالية ونشر شودهي فيها.

وما لم تبلغ الأمة الهندوكية هذه الأشياء الأربعة فستظل سلامة أطفالنا وأطفالهم إلى الأبد مهددة من قبل المسلمين ويصبح من المستحيل حماية العرق الهندوكي».

إن للعرق الهندوكي تاريخاً واحداً فقط وعادات منسجمة ولكن المسلمين والمسيحيين ابتعدوا كثيراً عن حدود الهندوكية لأن عقيدتهم الدينية غريبة وهم يحبون العادات الفارسية والعربية والأوربية. كانت أفغانستان والأقاليم الحدودية الجبلية في السابق جزءاً من الهند إلا أنها في الوقت الحاضر تقع تحت سيادة المسلمين، ومثلما هناك دين هندوكي في نيبال يجب أن يكون هناك تقاليد هندوكية في أفغانستان وفي مناطق الحدود. وإلا فإن الحصول على الحكم الذاتي لن يفيدنا بشيء إذا أصبح المسلمون أعداءنا وسيبدأ حينذاك عهد نادر شاه[2] وزمان شاه. في الوقت الحاضر يقوم الإنكليز بحماية الحدود ولكن هذا لا يمكن أن يدوم طويلاً، فإذا رغب الهنادكة بحماية أنفسهم عليهم غزو

(١) ان مطامع الهنادكة أو برنامجهم السياسي هو من الفرات إلى الميكونغ وهم لا يريدون استعمار هذه البلاد بل فرض الهندوكية على أهلها.

(٢) ملك إيراني طرده الأفغان من إيران وأعاد سلطة الصفويين ثم استولى على الهند مدة ثم قتل (١٦٨٨-١٧٤٧).

أفغانستان والحدود الشمالية وإدخال أهلها في الهندوكية.

إن هذه النظرية التي سيطرت على أساليب السياسة منذ عام ١٩٢٣ وحتى الآن أثارت حركتين جديدتين ضد المسلمين وهما: حركة شودهي وحركة سانغاتان، والهدف منهما تحويل المسلمين والمنبوذين إلى الهندوكية وتقوية الهنادكة ضد المسلمين وزرع الروح العسكرية في الهنادكة وتمهيد الطريق للحكم الذاتي الهندوكي، ومن أجل خلق روح حربية ومناضلة في صفوف الهنادكة انفجرت سلسلة من أعمال الشغب المتعمدة في طول البلاد وعرضها وتحولت الشوارع إلى ميادين قتال صغيرة يتعلم فيها الهنادكة فنون الحرب ومواجهة المسلمين في لعبة إراقة الدماء. ويصف الدكتور امبدكار الفترة الواقعة بين ١٩٢٠ و١٩٣٠ بالحرب الأهلية بين الهنادكة والمسلمين يتخللها هدن قصيرة الأجل من السلم المسلح.

وحسب التقديرات المعتدلة فقد حدثت في خمس سنوات (١٩٢٣-١٩٢٧) حوادث شغب قتل فيها نحو ٤٥٠ شخصاً وجرح ٥٠٠٠ آخرون. وخلال ١٢ شهراً أي حتى نهاية ابريل ١٩٢٧ هناك ٤٠ حادثة شغب ذهب ضحيتها ١٩٧ شخصاً وجرح ما لا يقل عن ١٥٥٩ شخصاً. وفي الأشهر الستة التي تلت إبريل إلى سبتمبر ١٩٢٧ هناك ٢٥ حادثة شغب أسفرت عن وفاة مائة وثلاثة أشخاص وجرح ١٠٨٤ شخصاً. وفي الأشهر التسعة اللاحقة أي منذ سبتمبر ١٩٢٧ وحتى يونيو ١٩٢٨، شهدت البلاد ١٩ حادثة شغب خطيرة ألحقت الضرر بكل منطقة من البلاد ما عدا مدراس. وأدت ٢٠ حادثة شغب جرت خلال ١٩٢٨-١٩٢٩ إلى وفاة ٢٠٤ أشخاص وجرح ١,٠٠٠ شخص في البنغال ويقول أمبدكار إنه خطفت ٣٥,٠٠٠ امرأة في نحو ست سنوات أي من ١٩٢٢-١٩٢٧، وكذلك أعطى أمبدكار تفاصيل عن حوادث سلب واغتيال وحرق من غير تمييز بين الرجال والنساء والأطفال في ولاية كانبور. وقتل نحو ٣٠٠ شخص في حوادث شغب طائفية في شهر مارس ١٩٣١. وفي ولاية بمبي حدثت بين فبراير ١٩٢٩ وابريل ١٩٣٨ عشر حوادث شغب خطيرة

وامتدت أكثر من ٢١٠ أيام وأسفرت عن وفاة ٥٦٠ شخصاً وجرح ٤٥٠٠ آخرين. وفي معظم الحالات يكون المسلمون أكثر المتضررين.

خلال هذه الفترة حاول المسلمون عدة مرات كما حدث في المؤتمر القومي عام ١٩٢٨ ومؤتمر المائدة المستديرة عام ١٩٢٩-١٩٣٢ أن يمدوا يد التعاون إلى الهنادكة في محاولات لوضع حد لمصير سياسي مشترك إلا أن أيديهم ردت وكانوا يقابلون بالازدراء في كل مناسبة وكانت مهمة الكونغرس الهندوكي المهيمن تعديل وجهة نظر المسلمين مهما كانت معقولة أو عادلة، وكان موقف الهنادكة من المسلمين موقف الازدراء والعجرفة. وبعد أن تم الاتفاق سنة ١٩١٦ بين المسلمين والهنادكة في لكهنو على اتفاقية تمنح المسلمين حق الانتخاب المنفصل عاد الهنادكة وأنكروا هذه الاتفاقية وادعى الكونغرس بأنه سيعيد النظر في تمثيل جميع الأقليات ومن ضمنها المسلمون وعارضوا مطالب المسلمين المتنوعة المتقدمة في مؤتمر الطاولة المستديرة الثاني من أجل أخذ الضمانات في التشكيلات القادمة وكذلك في الحكم المشترك الصادر عام ١٩٣٣ والذي منح بعضاً من الضمانات للمسلمين أنكره الهنادكة وقابلوه بالاستياء ورفض الكونغرس تشكيل وزارات ائتلافية في المناطق التي حصل فيها الكونغرس على أكثرية ساحقة في انتخابات عام ١٩٣٦-١٩٣٧.

في الواقع أصبح الكونغرس في الثلاثينات طائفياً بشكل صريح في سياسته وبرنامجه وتفكيره وقد رأينا فيما سلف كيف أن حركات النهضة الهندوكية التي تشكل كثيراً من الروافد في بحر القومية الهندوكية، منحت الكونغرس الحياة وكيف أن الهندوكية المتجددة لفيفيكانندا في تطوراتها العديدة قدمت إلى الكونغرس أيديولوجية وكيف أن النهضة القومية تطابقت مع إنعاش الهندوكية منذ عهد تيلاك ومكنت غاندي من دمج التبشير بالهندوكية ومفهومه الديني بشكل لا ينفصل عن التبشير بالأهداف السياسية العامة.

يقول نهرو: يسيطر الهنادكة على القومية الهندوكية ويملكون نظرية هندوكية. وإن التقدم الذي تعرض مرة للانهيار على يد قادة التحرر أمثال دادا

بهـاي نوروجي وفيروز شاه مهتا وغوبال كرشنا غوكهال استخدم بوساطة القوة الدافعة المتجددة خلال العشرين سنة الأخيرة جاعلاً خط الحدود بين الكونغرس والمهاسبها دقيقاً أكثر فأكثر ولا يمكن التعرف عليه في أكثر الأحيان ومن هنا أتى تحذير مولانا محمد علي عام ١٩٣٠ بأن حركة غاندي لا تهدف إلى استقلال الهند التام بل إلى جعل ٧٠ مليون[1] مسلم في الهند يعتمدون على مهاسبها الهنادكة، ومهما يكن من أمر فبعد الانتصار الانتخابي غير المتوقع الذي حققه الكونغرس رفض رجال الكونغرس حتى الاعتراف بوجود أية مشكلة هندوكية - إسلامية، وقال نهرو: «ليس هناك مشكلة دينية أو ثقافية في الهند، والمشكلة الدينية أو الطائفية الموجودة هي في الواقع نزاع قائم بين أفراد الطبقة العليا من أجل تقسيم غنائم الحكم أو التمثيل في الهيئة التشريعية. وإن الكونغرس لن يعترف للمسلمين على أي وجود سياسي يتطلب اهتماماً جاداً، فإذا أراد المسلمون المشاركة في تحقيق الحكم الذاتي والاستمتاع به يجب عليهم، دون أي خيار، التخلي عن الرابطة الإسلامية والاندماج في الكونغرس. إلا أن الكونغرس لن يمنحهم مناصب وزارية لأن المسلم الذي يختار البقاء في الرابطة الإسلامية يكون بذلك قد حكم على نفسه أن يحيا في قفر، فلنقدم له الفرصة بالاتجاه نحو الخيار الآخر ما دامت الفرصة سانحة». ليست هناك أية فكرة للتعاون مع الرابطة الإسلامية لأن هذا التعاون سيكون مناقضاً لمبدأ السيطرة الذي استولى في هذا الوقت على عقول أعضاء الكونغرس وذلك بوجود الحزب الواحد والاعتقاد بأن الكونغرس هو الحزب الوطني الوحيد وهو الذي قاد الوزارات الجديدة في الكونغرس في طريق تبني سلسلة من الإجراءات الحاسمة بالنسبة للمسلمين، تلك الإجراءات التي لفتت انتباه كل من يهمه الأمر إلى أن الحكم الذاتي الهندوكي قد تم تأسيسه وقد أصدرت هذه الوزارات تعليمات تطلب فيها من السلطات المحلية إدخال موظفين إداريين في الكونغرس في جميع أعمالها وخططها المهمة وسرعان ما بدأ هؤلاء الموظفون بالتدخل في إدارة

(١) ما كان المسلمون يعرفون عددهم زمن الانكليز كما أنهم لا يعرفون عددهم الآن في الهند لأن السلطة تريد ذلك ولذا نرى الزعماء يختلفون في تقدير العدد.

القضايا اليومية في السلك القضائي، إلا أن القضاة وضعوا قيوداً صارمة في عدة مناسبات ضد هذا التدخل وبدأ علم الكونغرس ذو الألوان الثلاثة يرفرف فوق جميع الأبنية العامة وأحياناً دون موافقة السلطة المختصة وأصبح نشيد بنده ما ترام (تحية الأم)[1] النشيد الوطني ينشد في جميع المناسبات الرسمية وغير الرسمية وكذلك في المدارس قبل البدء بالمهام اليومية. أما الابتهال إلى الآلهة (كالي) فإنه كان عبادة الوثنية. والأسوأ من ذلك كان يطلب من أولاد المسلمين مع أولاد الهنادكة أن يصلوا بأكف متلاصقة أمام صورة الآله (ساراسواتي)، وفي الاحتفال بذكرى ولادة غاندي عليهم أن يصلوا أمام صورته كجزء من الاحتفال بذكرى ولادته.

من جهة أخرى شن الكونغرس حملة ضد ذبح البقر ومنعت البلديات المسلمين من بيع لحم البقر ومنع إعطاء تراخيص للجزارين بذبح البقر وكانوا يتعرضون لهجوم من قبل عصابات هندوكية في عدة مناسبات لمنعهم من ذبح البقر. ووضعت قيود صارمة على ذبح الحيوانات للأضاحي التي يقدمها المسلمون في عيد الأضحى[2]، وقد رمى القانون المقدم إلى البرلمان لحماية البقر، إلى فرض قيود صارمة على ذبح الحيوانات ولو كان ذلك لأغراض اجتماعية ودينية. لقد بدأ شبح شيفاجي ينتشر في مناطق الأكثرية الهندوكية.

قامت حكومات الكونغرس في محاولة لإضعاف مكانة الثقافة الإسلامية بتشجيع استعمال اللغة الهندية كأداة لإصدار التعليمات وأهملت القراءة والكتابة باللغة الأردية ورفضت الجمعيات والمحاكم البلدية العروض المقدمة إليها باللغة الأردية، وكذلك العرائض التي تقدم إلى مجلس النواب إذا كانت باللغة الأردية تعاد صياغتها باللغة الهندية. وبلغ الأمر ذروته عندما وضعت خطة ويديا ماندير[3] التي تنص على إقامة معهد للتعليم في كل قرية أو مجموعة من

(١) يقصدون بالأم الهند والنشيد مملوء بالشتائم للمسلمين.

(٢) يسمي المسلمون في الهند وباكستان عيد الأضحى عيد البقر لأنهم أكثر ما يضحون بالبقر.

(٣) VIDYA MANDIR

القرى تقع على بعد ميل واحد ويتوفر فيها ٤٠ ولداً وبنتاً بلغوا السن القانونية للدخول إلى المدرسة، وتنقل الثقافة في هذه المعاهد إلى السكان بلغة الأم، ويمكن أن تكون هناك ويديا ماندير مرتهية وويديا ماندير هندية وويديا ماندير اردية. هذا من الناحية النظرية ولكن الواقع انه يتم الاستغناء عن اللغة الأردية عملياً في المناطق التي تسيطر عليها أكثرية هندوكية لا سيما وإنه يستحيل جمع ٤٠ ولداً في مسافة ميل واحد للسماح بإقامة ويديا ماندير اردية، كذلك يبدو أن بعض الكتب المفروضة في المدارس تعمل على تمجيد الهندوكية على حساب الإسلام، ولا يسعُ المسلمين في هذه الحالة إلا الاعتقاد بأن أطفالهم يلقنون تدريجياً طرق التفكير الهندوكي.

وإلى جانب الهجوم الثقافي شن الهنادكة سياسة منظمة بهدف اضطهاد المسلمين وقد انفجرت بسبب تستر الموظفين حوادث شغب طائفية في أجزاء عديدة من البلاد وذلك خلال عامي ١٩٣٧-١٩٣٩ أي عندما حكم الكونغرس المناطق وكان هناك ٧٢ حادثاً في بهار و٣٣ حادثاً في الولايات المتحدة وعدد كبير من الحوادث في المناطق المركزية وتعرضت مشاعر المسلمين الدينية للاستفزاز الشديد: فاضطهد الجزارون المسلمون، وألقيت لحوم الخنازير[1] في المساجد واستنكر الأذان للصلاة وكان يقاطع بأصوات مستهجنة، وعزلت أماكن بيع المسلمين عن غيرها ومنع المسلمون من الاستقاء من آبار القرية.

أدى كل هذا إلى إثارة لهيب الجنون والحقد الطائفي، فجعل الطائفتين في معسكرين متنافرين، واعتبر المسلمون أن الإجراءات التي اتخذها نظام الكونغرس في الولايات ما هي إلا جزء من خطة الكونغرس لتجريدهم من الدين الإسلامي. وأثبتت هذه الإجراءات رأي محمد علي جناح الذي ناضل من أجله فقد كشفت الأكثرية عن خطتها وهي بأن هندوستان للهنادكة ولكن الكونغرس استطاع أن يتستر تحت اسم القومية، ولم يتهم محمد علي جناح رجال الكونغرس بأنهم عاملوا المسلمين بطريقة أسوأ من الطريقة التي عامل بها

(١) للكيد للمسلمين يلقي الهنادكة لحوم الخنازير في المساجد.

البريطانيون الهنود فقط بل شعر أيضاً بأن الكونغرس قد قضى على كل بريق للأمل بالتوصل إلى تسوية هندوكية - إسلامية على الطريقة التي وضعتها اللجنة الملكية. ولكي يدعم ويثبت اتهاماته للكونغرس دعا إلى تأسيس لجنة ملكية مهمتها التحقيق في شكاوى المسلمين، غير أن الحرب العالمية الثانية كانت قد غمرت أوروبا بجحيمها واستقالت وزارات الكونغرس احتجاجاً على نائب الملك لإعلانه الحرب نيابة عن الهند دون استشارة الحكومات الوطنية. وبما أن حكومة الهند، أي الإنكليز، كانوا حريصين على أن يتعاون الكونغرس والهنادكة معهم في الجهود الحربية فإنهم لم يريدوا أن يزيدوا من غضب الهنادكة فلم يعينوا اللجنة التي طلبها جناح ولا تابعوا القضية وإزاء هذا الوضع وجد المسلمون شيئاً من الراحة وأدوا صلاة الشكر لله لانتهاء حكم الكونغرس واحتفلوا في ٢٣ ديسمبر ١٩٣٩ بيوم أطلقوا عليه اسم يوم الخلاص.

وكان هذا يعني انهيار الأمل الضعيف الذي كان يعلقه المسلمون على الهنادكة من أجل إيجاد قومية هندية لا سيما وأن الكونغرس قد تصرف بوعوده وإدارته خلال سنتي حكمه ١٩٣٧-١٩٣٩ تصرفاً دلَّ دلالة واضحة على ما يجب أن يتوقعوه من الكونغرس عندما تتشكل الحكومة الفيدرالية الهندية، فلا عجب إذن أن تصل فكرة التحرر من الحكومة الفيدرالية إلى نقطة اللارجوع عند المسلمين فقد أيقن المسلمون بعدم إمكانية تحقيق دولة متعددة القوميات. وقد أدى هذا إلى إعادة توكيد وضعهم الخاص في الجهاز السياسي الهندي، فقدموا طلباً رسمياً يعلنون فيه عن عزمهم على خلق قومية منفصلة عن الهنادكة وطالبوا عام ١٩٤٠ باسم المسلمين إنشاء دولة باكستان في المناطق التي هم فيها أكثرية. فقد أتى هذا التصرف جواباً على تحدي الهنادكة بأن الهند لهم. ومنذ ذلك الوقت استحوذت فكرة الباكستان على عقول المسلمين بشكل قوي وأثارت حماستهم إلى حدٍّ لم يسبق له مثيل، وبدا أنهم لن يقبلوا بأي شيءٍ يحول بينهم وبين إقامة وطن مستقل لهم. وحاولت حكومة بريطانيا تنفيذ (خطة كريبس لعام ١٩٤٢) وخطة (بعثة اللجنة الوزارية بتاريخ ١٦ مايو سنة ١٩٤٦) أن تبقي على وحدة الهند سليمة وأن تتوصل إلى تسوية بين المواقف المتناقضة للكونغرس

الهندوكي والرابطة الإسلامية إلا أن هذه الجهود انهارت على صخرة العناد الهندوكي وبدا واضحاً أن الكونغرس قد صمم على عدم السماح للمسلمين بالحصول على نصيب مماثل لهم في حكم البلاد وحتى أن الكونغرس لم يكن مستعداً لمنح المسلمين حصة معقولة من حكم البلاد، أي منحهم الاستقلال في المناطق التي يشكلون فيها الأكثرية وذلك وفق خطة اللجنة الوزارية.

جواباً على معارضة الكونغرس للرابطة الإسلامية واتخاذ التدابير لتشكيل حكومة بموجب خطة بعثة اللجنة الملكية فقد ألغت الرابطة الإسلامية موافقتها السابقة على الخطة المذكورة والتصميم على القيام بعمل مباشر إذا دعت الحاجة للحصول على باكستان. ومن أجل تفسير ما تعني كلمة (عمل مباشر) دعت الرابطة إلى التقيد بيوم عمل مباشر وهو يوم ١٦ أوغست ١٩٤٦. وكان من المفترض أن يكون ذاك اليوم يوم للمظاهرات السلمية والقرارات الرزينة إلا أنه تحول إلى يوم تقام فيه طقوس العربدة وإراقة الدماء من بمبي حتى البنغال؛ ففي بمبي تعرض موكب إسلامي لهجوم هندوكي وفي كلكتا هاجم الهنادكة تجمعاً للمسلمين في المسجد وقد أدى هذا العمل إلى حوادث شغب على نطاق واسع وقد عرفت منذ ذلك الوقت هذه الحوادث باسم مجزرة كلكتا العظمى.

ومن الجدير بالذكر حول هذا الموضوع أن نذكر بعض ما حدث بين الطائفتين فمن ذلك عندما كان المسلمون يحتفلون بانتصار الرابطة في الانتخابات التي جرت من أجل مجلس النواب المركزي في ١١ يناير ١٩٤٦ قام سردار والا بهاي بتيل الرجل الحديدي في الكونغرس بتهديد المسلمين بحرب أهلية إذا استمروا في إصرارهم على خلق باكستان وصرح في خطاب له ألقاه في أحمدآباد في ١٥ يناير ١٩٤٦ بما يلي: «لقد استولت الرابطة الإسلامية على المقاعد الإسلامية قاطبة ولكن لا يمكن الحصول على باكستان بهذه الطريقة بل إذا أراد المسلمون الحصول على باكستان يجب أن يقتتل الهنادكة والمسلمون وستكون هناك حرب أهلية». وقال غاندي من قبل في عام ١٩٤٤: «إذا كان الحصول على باكستان يعني سيادة مستقلة مطلقة ولا يكون شيء

مشترك بين الفريقين فأقول إنه اقتراح مستحيل التنفيذ وهو يعني حرباً لا هوادة فيها». وفي منتصف عام ١٩٤٦ كتب يقول: «لم نصل بعد إلى غمرة الحرب الأهلية ولكننا أصبحنا على مقربة منها وإننا نواجهها في الوقت الحاضر. لهذا يمكن اعتبار مجزرة كلكتا العظمى هي الفاتحة المثيرة للحرب الأهلية الموعودة».

مجزرة كلكتا العظمى:

تعرضت المواكب الإسلامية العزلاء لهجوم كاسح اجتاز المدينة كلها وأصبحت معظم المناطق التي يسود فيها العنصر الهندوكي مراكز لموت المسلمين وخراب ديارهم. هذا على الرغم من وجود وزارة الرابطة في الحكم في البنغال، وأثبت التحقيق الرسمي الذي جرى فيما بعد تستر رجال الشرطة على حوادث القتل في تلك المناطق.

أكدت الشهادة الحيادية النظرة العامة بأن الهنادكة هم الذين أطلقوا شرارة حوادث الشغب لاستيائهم من قرار وزارة الرابطة بجعل يوم العمل المباشر يوم إجازة رسمية.

وأحد الأسباب الرئيسية لهذا الاستياء يعود إلى أن الكونغرس حتى ذلك الوقت كان يمتلك حق إجبار الناس على التوقف عن العمل وشل حركة المواصلات العامة في كلكتا وتحديد الإضرابات لهذا يرفض الكونغرس بشدة وجود أي منافس آخر وخاصة الرابطة الإسلامية.

في مجال الدعاية السياسية ألقى الهنادكة خطابات مثيرة للشغب وبلغ عدد الحوادث الناجمة عن حوادث الشغب موت عدة آلاف، ففي ليلة واحدة فقط نقلت ٤٥٠ جثة من الشارع على يد ثلاث كتائب بريطانية وبعد بضعة أيام وجدت الجثث في المجاري وأحواض المياه. في أعقاب حوادث العنف هذه وإراقة الدماء تشكلت حكومة كونغرس مركزية بحتة في ٢ سبتمبر ١٩٤٦ بموجب شروط خطة بعثة اللجنة الوزارية، وبما أن الرابطة قد رفضت الخطة بسبب

النفـاق البـريطاني وبسبب رفض الكونغرس الموافقة على التعاون مع الرابطة وتشكيل حكومة مركزية دون شروط وطلب من الكونغرس تشكيل حكومة مؤقتة ومعنى ذلك أن الإنكليز قد تجاهلوا وجود المسلمين وكان لهذا التجاهل عواقب سيئة إذ استقبله المسلمون بالأعلام السود دلالة على العصيان. والأهم من هذا أن حلول حكم الكونغرس في المركز أصبح كما كان في السابق إشارة لموجة جديدة من أعمال إراقة الدماء وإحراق المباني وانتشار السلب والنهب في كل مكان؛ ولم يمر يوم دون أن يقتل العديد من الرجال والنساء والأطفال الأبرياء أو تشويههم وحرق الممتلكات أو نهبها.

وتقول المعلومات الموثوقة إن حوادث الشغب الطائفية التي هزت البلاد من جميع أركانها في شهر سبتمبر ١٩٤٦ كانت إنذاراً عن المحنة تحت رعاية حكام الكونغرس، وأدت حوادث الحريق القليلة والمنتشرة إلى حريق هائل وكبير في بهـار ذهب ضحيتـه، وفق تقرير وكالة الأنباء، أكثر من ٣٠,٠٠٠ شخص. ولكن هذا الرقم مجرد تخمين، فلنرجع الآن إلى مجزرة كلكتا في شهر أوغست ١٩٤٦:

إن حوادث القتل التي جرت في كلكتا كانت لها آثارها في منطقة نوكهالي في البنغال الشرقية حيث قتل ٢٠٠ شخص هندوكي، وهناك حادثتان مختلفتان تدلان على أنه لولا المحرضين لما حصل ما حصل أما الحادثة الأولى فهي: إن الروابط القروية بين أفراد الطائفتين هي في الغالب التي سيطرت على الوضع ففي معظم الحالات كان الجيران المسلمون هم الذين يحاربون المهاجمين لحماية إخوانهم من الهنادكة وقد صرح قاضي المنطقة الأوروبي بأن حوادث السلب والخطف والزواج القسري كانت نادرة ولم يصل إلى سمعه أية معلومات عن هذه الحوادث، والحادثة الثانية: هي أنه حينما وصلت الأخبار إلى كلكتا وصل إلى المدينة جماعة من الهنادكة ولكن لم يمض وقت طويل حتى أسرع رجـال من الرابطة الإسلامية إلى مسرح الأحداث وتم التفاهم بين الفريقين، وكبحت حوادث الشغب بسـرعـة وبقـوة واعتقـل المذنبون وعوقبوا، واتخذت الإجراءات التأديبية.

على الرغم من أن العدد الإجمالي للضحايا في هذه الحادثة كان دون ٣٠٠ قتيل إلا أن الصحافة الهندوكية الهيستيرية نشرت قصصاً مخيفة ومزيفة أدت بدورها إلى أضرار غير محدودة في الهند إذ أضرمت النيران في بهار ويوبي وقام الهنادكة يطالبون بالثأر.

تقرر جعل يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٤٦ يوم ذكرى بوكهالي وقام زعماء الكونغرس بإطلاق مواكب ضخمة امتدت على طول خمسة أميال في ولاية باتنة وثلاث أميال في شابرا وفي أماكن أخرى اصطفت الجماهير في شوارع المدن والقرى وهي تهتف بشعارات مثيرة وبذيئة مثل: (الدم بالدم)، (اضربوا جناح بالرصاص)، (اجعلوا من باكستان مقبرة)، وغير ذلك من الشعارات الأخرى، وألقيت في هذا الاجتماع خطابات عنيفة من قبل زعماء الكونغرس أمثال مورلي مانوهارا براشاد لحض الجماهير على الأخذ بثأر نواكهالي.

بدأت عملية الإبادة في ولاية باتنة نفسها وامتدت سريعاً إلى كامل المنطقة وانتشرت جماهير الهنادكة المحتشدة والمجهزة بأسلحة قتالة في أطراف البلاد تذبح الرجال والنساء والأطفال، وتدمر جميع القرى فانهارت المناطق بأكملها، وقد لاقت حشود الهاربين الذين استقلوا القطارات أعمالاً وحشية إذ أنهم أنزلوا من القطارات وذبحوا ذبح النعاج. والصورة الأكثر سوءاً هي اشتراك حراس القانون والذين يمارسون الأعمال الخيرية مع المشاغبين في الذبح والقتل، وكذلك تعرضت عدة قرى تقع على بعد عدة أميال فقط، وعلى مرأى من منزل الحاكم في باتنة للحصار وحرقت. وفي كثير من القرى مثل مانورا، وبونبون وتاريغانا وماسورهيم كيلا، وتشس تيبور، وبالوار بور، وهيلسا، وآتاساري، وتلهارا، وبانيبور، ومنصور غنج. ونكتفي بذكر هذه القرى فقط التي لا يفصلها عن مراكز الشرطة سوى مسافات قصيرة ومع ذلك لم يتخذ أي إجراء من قبل الشرطة أو القضاء لإنقاذ حياة المسلمين العزل وممتلكاتهم.

وبينما كانت جميع هذه الحوادث المخيفة تجري، أطلقت حكومة بهار تصريحاً غريباً إذ قالت إنها لن تلجأ إلى القوة لكبح جماح العنف، بل إنها

ستلجأ إلى ضم الأكف والكلام لتهدئة الخواطر. وفي مؤتمر رسمي ضم جماعة من الهنادكة والمسلمين عقد في ٣١ أكتوبر ١٩٤٦ لمناقشة حوادث الشغب، قال رئيس الوزراء في بهار بأنه ما دام هو رئيساً للوزارة في الحكومة فإنه لن يسمح للجيش البريطاني بأن يطلق نيران أسلحته على المشاغبين من الهنادكة (وكان هذا الموقف من قبل رئيس الوزراء موقفاً طائفياً بحتاً)، وبالتالي فإنه على الرغم من أن حوادث الشغب بدأت يوم ٢٥ أكتوبر إلا أن القوات المسلحة لم تستدع إلا بعد خمسة أيام، أي في ١ نوفمبر، ولم تنتشر هذه القوات حتى ٧ من الشهر ذاته، مما أدى إلى خراب استمر ثلاثة عشر يوماً.

في الواقع كانت مذبحة بهار هائلة وتدعو إلى الثورة وغليان الدم، وكانت أفضل طريقة محببة عند هؤلاء المجرمين لقتل طفل هي شطره إلى شطرين وهو حي، أو سحقه بين درفتي الباب. وكانوا يلقون الجثث حية في المياه بعد تقطيع أطراف أصحابها وكسرها، وحاولت الحكومة بشدة التكتم على جميع الأخبار ولكن بعد عدة أيام، نجا بعض الهاربين إلى كلكتا فاتصل رئيس البلدية بولاية لاهور لتحذير المسلمين القاصدين السفر من المرور عبر بهار. وكتب السر فرنسيس توكر عن جميع الحوادث المفزعة التي حصلت عام ١٩٤٦ ومما قاله: كانت هذه المذبحة المخيفة مثيرة للأعصاب وكان الجانب الأكثر خسة فيها هو الإنقلاب المفاجيء للجماهير الهندوكية وهي كاملة العدة والمخطط لقتل الأقلية المسلمة الذين عاشوا هم وآباؤهم في صداقة وثيقة طول حياتهم مع جيرانهم الهنادكة، من الصعب جداً معرفة ذاك العقل المدبر لخطة استئصال المسلمين المحكمة والمخططة تخطيطاً علمياً، بل كل ما نعرفه هو أن الأمر قد تم وفق خطة محكمة وموعد ثابت، ولو لم تكن هناك خطة مرسومة لما استطاعت تلك الجماهير الضخمة والمجهزة بأسلحة كاملة أن تتجمع في وقت واحد وأن تتحرك بهذا الهدف الواضح على ما فيه من خبث ولؤم.

بلغ عدد القتلى من المسلمين رجالاً ونساءً وأطفالاً في هذه المجزرة القصيرة والوحشية ما بين ٧ وبين ٨ آلاف شخص. وكانت الأعمال الوحشية

المرتكبة فظيعة جداً وإنذاراً لأولئك اللاجئين إلى ولاية غارموكتسوار.

بعد عدة أسابيع قام المشاغبون بتقطيع النساء والأطفال ثم ذبحهم بوحشية لا يستطيع الشخص المتمدن حتى أن يستحضرها في ذهنه.

لاقت هذه الوحشية التي لم يسبق لها مثيل صدى في مجلس العموم البريطاني حيث وصفها تشرتشل في ١٢ ديسمبر ١٩٤٦ بأنها دلالة منذرة لما يمكن أن يحدث في المستقبل، وبعد إطلاعه على تقارير من شهود موثوق بهم قال: «بأن حوادث بهار قد فاقت بوحشيتها الأعمال الأرمنية الوحشية التي استغلها (غلادستون) مرة لإثارة المشاعر الأخلاقية لحزب الأحرار البريطاني، حتى إن بعض رجال الكونغرس صدموا مما حدث، واتهم (جي براكاش ناراين) الأكثرية في بهار بارتكاب جرائم وحشية وأعمال تدل على جبن شديد وأخلاق دنيئة». وأضاف يقول: بأن ما حدث في بهار سيبقى وصمة عار أبدية في تاريخ سير وزارة الكونغرس والأكثرية. أما نهرو فلم يصدق بأن الكائنات البشرية يمكن أن تتصرف على هذا النحو.

قال غاندي، وهو الخبير في إطلاق العنان للتصريحات، ما يلي: «إن الجرائم المرتكبة في بهار من حيث العدد والوحشية فاقت ما حدث في نوكهالي». واعتبر غاندي أن سلوك وزارة الكونغرس في بهار شائن ومخزٍ، أما جناح فقد أدان من جانبه الوحشية في أي شكل أو مظهر كانت إلا أنه حذر من الانتقام أو الأخذ بالثأر في المقاطعات التي يسود فيها المسلمون رداً على ما حدث في بهار وكذلك توسل إلى المسلمين أينما كانوا يشكلون أكثرية ساحقة أن يبذلوا ما بوسعهم لحماية الأقليات غير المسلمة، والدفاع عنها، وخلق إحساس كامل بالأمان والثقة بين تلك الطبقات.

يعتقد توكر بأن السلطات المسؤولة ومن ضمنها الوزارات لم تفعل شيئاً من أجل إيقاف المجزرة ويقول: «إن الأمر الذي أثار موظفينا في ذلك الوقت هو الهدوء الذي استقبلت فيه الوزارات الهندوكية الروايات المفزعة والصادقة عن

الأعمال الوحشية المرتكبة، وبدا أنهم لم ينزعجوا مما حدث. ومما أيد هذه اللامبالاة الرسمية عدم إيقاف مجرم هندوكي واحد. ومن ناحية أخرى بذلت الحكومة ما بوسعها لإزالة كل الأدلة ضد الثائرين، وسلطت الأضواء على الأعمال التي يرتكبها المسلمون». وذكر مثالاً على ذلك من بين الأمثلة الكثيرة ما يلي: «ذكرت صحافة حكومة بهار في ١٧ نوفمبر أن عدد الإصابات في نغر نوزا في مركز شرطة تشاندي في مقاطعة باتنة بلغ ٤٠٠ إلى ٥٠٠ قتيل، وبعد أقل من أسبوع واحد أعلن وزير الإعلام في حكومة بهار أن عدد الوفيات كان ١٤ أو ١٥ وفاة فقط». إن ذاكرة الشعب ضعيفة، ولا شك ولكن ليس إلى هذه الدرجة المضحكة. وفي بحر أقل من شهر تكررت حوادث بهار في (غارموكتسوار) في يوبي، حيث يقول عنها توكر ما يلي: «قتل كل مسلم من رجل وامرأة وطفل بوحشية مروعة حتى النساء الحوامل، بقرت بطونهن، ومزقت الأجنة غير المولودة وقذفت أدمغتهم على الجدران وعلى الأرض، وكان المعتدون يوثقون النساء والأطفال من أرجلهم ثم يمزقونهم إرباً إرباً، وقام هؤلاء الأوغاد أيضاً بسلب المتاجر وحرقها، وإلقاء الأموات فوق ألسنة اللهب. ثم يقف قتلة النساء يضحكون بمرح وهم يرون الحوانيت تحترق».

في هذه الأيام لم يحرك الهنادكة في غار موكتسوار ساكناً لإيقاف الأعمال الوحشية ضد المسلمين ولم يرفعوا صوتاً للاحتجاج على هذه الأعمال، ولكن عملية القتل توقفت تماماً لأنه لم يبق أحد من المسلمين من رجال ونساء وأطفال ليقتلوه، بل قتل من قتل وفر الباقي من البلاد.

والأمر الأكثر مأساوية هو أنه حتى هذه الجرائم الفاحشة، والحرائق المنتشرة في البلد لم تستطع أن تعيد إلى زعماء الكونغرس المشعوذين العقل السليم أو أن تثير مشاعرهم، بل سمح لهم على العكس من ذلك بعقد اجتماعات شعبية في جميع هذه المناطق المتضررة كل أسبوع تقريباً حيث يلقون الخطابات المثيرة. ويكفينا هنا ذكر مثال واحد مقتبس من خطاب أحد المسؤولين الذي يوازي بأهميته رئيس الكونغرس وهو اتشاريا كريبالاني الذي

أكد في كلمة له ألقاها في ميدان بانكيبور في ولاية باتنة في ٢٢ فبراير ١٩٤٧ قائلاً: «لقد انتهى عهد البريطانيين وتلاشت قوتهم، ولن يفيد البكاء على حصان ميت، بل علينا أن نحارب الأعداء داخل معسكرنا، ويجب ألا نلحق أي ضرر بالمسلمين. ولكن يجب أن نقضي على الرابطة الإسلامية. فعندما تكون الرابطة الإسلامية تمثل نحو ٩٠٪ من المسلمين وفق انتخابات ١٩٤٥-١٩٤٦ يتساءل المرء: كيف يمكن القضاء على الرابطة الإسلامية دون إلحاق الضرر بالمسلمين؟ أعتقد أن المعنى الضمني واضح جداً ولا يمكن إساءة تفسيره».

ملحق للفصل الثاني

التسلسل الزمني لحوادث الشغب في شهر سبتمبر ١٩٤٦م

في ٢ من سبتمبر قتل ٧٠ شخصاً وجرح ٢٥٠ آخرون في بمبي، وكان هناك حوادث حرق وسلب ونهب في كل أنحاء المدينة وفرض حظر التجول لمدة ٢٤ ساعة في عدة مناطق، فتحت الشرطة نيران أسلحتها ١٢ مرة لقمع الشغب. في ولاية أحمد آباد اعتقل ٢٧ شخصاً لخرقهم حظر التجول وسجن ١٢ آخرون وطعن شخصان في اله آباد[١] واعتقل ٥٠ وصدر القرار رقم ١٤٤[٢] وفرضت غرامات جماعية بلغت ٢٠,٠٠٠ روبيه.

في ٣ سبتمبر بلغت الوفيات في بمبي ١٠٩ أشخاص وجرح ٣٤٩ آخرون. وجرت معارك ضارية في الشوارع وخاصة بجانب حدائق فكتوريا ولجأت الشرطة إلى استعمال السلاح في ١٥ مكاناً ولجأ الجيش مرتين إلى استعمال أسلحته أيضاً.

في ٤ سبتمبر بلغت نتيجة الحوادث في بمبي ١٤٦ قتيلاً و ٤٨٤ جريحاً، وإتبع المشاغبون أسلوب الكر والفر وكانت هناك ٦ حوادث سلب و٧ حرائق، وارتفع عدد المعتقلين إلى ١١٧٠. وفي ولاية (ناسيك) قتل ٦ أشخاص وجرح ٣٢ آخرون، واستعملت الشرطة أسلحتها ٣ مرات واستدعي الجيش من (ديولالي)، وفرض حظر التجول من الليل حتى الفجر. وفي كلكتا طعن شخص واحد واعتقل سكرتير المهاسبها (المجلس النيابي) المحلي لاشتراكه في عمليات الحريق.

---

(١) هكذا يكتب أهل الهند اسم بلدة الله آباد.

(٢) هذا القرار يقضي بعدم اجتماع أكثر من أربعة أشخاص.

في ٥ من سبتمبر تجددت الحوادث في كلكتا وكان هناك عدد من حوادث الطعن أسفرت عن مقتل ٣ أشخاص وجرح ٧ آخرين، وتوقفت حركة النقل والمواصلات. وفي ولاية ناسيك ألقي القبض على ٣٠٠ شخص بسبب انتشار التوتر في أماكن عديدة من المدينة، وأمرت الجيش بالاستعداد. وفي بمبي حدثت حوادث حريق كثيرة وطعن وأعمال عنف أسفرت عن مقتل ٢٠١ شخص وتعطلت حركة التزود بالمؤن في ٦ من سبتمبر انفجرت حوادث شغب طائفية في أمروتي وفرض حظر التجول من الليل حتى الفجر وامتد حظر التجول أيضاً إلى دلهي، وامتد التوتر إلى لكهنو حيث صودرت ٢,٠٠٠ قطعة سلاح قاتلة واستمرت حوادث اعتداء متفرقة في بمبي أسفرت عن وفاة ٢١٨ شخصاً وجرح ٦٥٣، وهرب النساء والأطفال من المدينة واعتقل ٩٤ شخصاً.

في السابع من سبتمبر سيطر التوتر الطائفي على ولاية ملتان وأعلن عن حوادث طعن متفرقة وفرض حظر التجول وأعلن القرار رقم ١٤٤ في المدينة. وفي ولاية آغرا أصيب سكانها بالذعر من إعلان القرار رقم ١٤٤ وبدأت دوريات الشرطة تجول في أنحاء المدينة. وفي بمبي اضطرت الشرطة إلى استعمال السلاح وبلغ عدد القتلى ٢٢٥ شخصاً والجرحى ٦٨٠ شخصاً واستمرت هجرة الناس من المدينة.

وفي الثامن من سبتمبر قتل ١٢ شخصاً وجرح ٣٨ آخرون في بمبي وامتدت الحوادث إلى ميروت حيث هاجم الهنادكة المسلمين في بتشرا خورد[1] وأسفرت عن مقتل مسلم واحد وجرح ٣٠ آخرين. واعتقل مئة شخص في كلكتا وفي ولاية آغرا منع حمل السلاح القاتل.

وفي ١٠ سبتمبر بلغت نتيجة الحوادث في بمبي ٢٤٢ قتيلاً و ٧٢٩ جريحاً وأعلن عن ٤ حوادث طعن ونهبت المتاجر، وفي كلكتا لجأ ١٢,٩٠٠ شخص إلى معسكرات الهاربين من الشغب واعتقل ٢٠ هندوكياً في لاهور لخرقهم

---

(١) BACHRAKHURD

القرار ١٤٤ . وأعلن عن حوادث شغب طائفية في (جولندور)[1] حيث جرح ٦ أشخاص وفرض حظر التجول وأذيع القرار رقم ١٤٤ .

وفي ١١ سبتمبر، ساد التوتر في عدة مناطق في بمبي وبقيت المعامل مغلقة .

وفي ١٢ سبتمبر، أعلن عن أول كارثة غير هندوكية في بمبي، ألقيت الحجارة على العمال وصودرت الأسلحة المميتة من أماكن العبادة .

في ١٣ سبتمبر، أعلن عن ٥ حوادث طعن في شمال كلكتا، وقطعت حركة المواصلات، وأذيع القرار رقم ١٤٤ في بونا . انتشرت حوادث الشغب حتى بمبي إذ أعلن هناك عن حادثتي طعن .

في ١٤ سبتمبر كان هناك ٢٥٧ حادثة وفاة وجرح ٧٨١ شخصاً في بمبي وأطلقت عيارات نارية من مسدس من سيارة مسرعة . وحدثت حوادث قتل وجرح عديدة شملت الأطفال الصغار وجرح ١٤ شخصاً في دهاكة وقتل شخص واحد ونهبت عدة متاجر واعتقل ثلاثة أشخاص بسبب انتقاد، وانشلّت حركة البريد وطعن ٥ أشخاص وأعلن عن حوادث حريق وأعلن أيضاً عن حوادث إعتداء منتشرة في شمال كلكتا . واستمرت الإضطرابات في بمبي وأسفرت عن مقتل ٢٦٢ شخصاً وجرح ٧٩١ آخرين .

في ١٦ سبتمبر قتل ٢ آخران وجرح ٢١ شخصاً في بمبي . وهناك ١٤ حادثة طعن وأربعة إعتقالات وفي أحمد آباد ألقيت مادة متفجرة على مركبة يجرها ثور وقبض على ٣٧ شخصاً مشبوهين وطعن ٨ أشخاص من بينهم امرأتان في دهاكة وارتفع عدد الوفيات إلى ٣٥ شخصاً . وهناك حادثتا حريق واعتقال ٣٦٥ شخصاً، وفرضت الغرامات المالية، وحدث اصطدام طائفي بين الطلاب في سيلهت جرح فيها عدد من الطلاب وأذيع القرار ١٤٤ .

وفي ١٧ سبتمبر نهبت المتاجر في بمبي واستعمل الجيش الغاز المسيل

---

(١) JULLUNDUR

للدموع لتفريق المشاغبين واستعملت الشرطة أسلحتها. وفي أحمد آباد ألقيت زجاجات مصابيح كهربائية تحوي حمضاً على المارة واعتقل ٣ أشخاص مشتبه بهم و٤ آخرون لحيازتهم السلاح.

وفي ١٨ سبتمبر طعن ٥ أشخاص في بمبي مات اثنان منهم بعد ذلك وحدثت ٣ اعتقالات في أحمد آباد وحدثت ٥ حوادث طعن في دهاكة واضطر رجال الشرطة إلى استعمال السلاح وقتل شخص واحد ونهبت المنازل واضرمت النيران في عدة أماكن.

في ١٩ سبتمبر اعتدى في ناكبور على مدرسين من المنبوذين بالضرب بالعصي وأعلن القرار ١٤٤ في (اسانسول)، وطعن شخص واحد في اله آباد واعتقل ٣٥ شخصاً في ناسيك حيث مدد حظر التجول واستمر التوتر في بمبي حيث أعلن عن حوادث نهب عديدة.

في ٢٠ سبتمبر أعلن عن ٣ حوادث طعن في أحمد آباد وطعن ٣ أشخاص في دهاكه وأعلن عن ٩ حوادث حريق وأصبح الوضع متوتراً للغاية حتى إن سائقي القطارات رفضوا التحرك دون مرافقة حراس مسلحين.

وفي ٢١ سبتمبر منعت الحكومة الإعلان عن حوادث الشغب في بمبي وهناك ٤ حوادث اعتقال. وأعلن عن ٣ حوادث طعن في أحمد آباد. وفي اله آباد فرضت غرامات بلغت ١٠,٠٠٠ روبية على المسلمين وأعفي الهنادكة منها كلهم.

وفي ٢٢ سبتمبر طعن شخصان وقتل واحد في بمبي واستمر التوتر في دهاكة حيث أعلن هناك عن حادثتي طعن.

وفي ٢٣ سبتمبر جرح ٩ أشخاص في اصطدامات طائفية في ولاية أحمد نغر وأذيع القرار رقم ١٤٤، وفرض حظر التجول لمدة ١٢ ساعة. وأعلن عن حوادث اعتداء في كلكتا حيث قتل ٧ أشخاص وجرح ٤٤ آخرون. واستمرت

حوادث الطعن في بمبي وفي ولاية جمّو قتل ٤ أشخاص وجرح ١٢ آخرون في حوادث شغب طائفية وفرض حظر التجول لمدة ٢٤ ساعة.

وفي ٢٤ سبتمبر مات اثنان وجرح ١٠ أشخاص في قتال بالسكاكين وجرح ٩ أشخاص في كلكتا وفي دهاكة بلغ عدد الوفيات ٦١ شخصاً وأعلن عن ٦ حوادث حريق ومدد العمل بالقرار رقم ١٤٤ في لاهور.

في ٢٥ سبتمبر لجأ رجال الشرطة إلى إطلاق النار في بمبي لإيقاف سيل الحجارة. أصيب شخصان بالرصاص فتحملا جرحهما قليلاً ومات واحد منهما بعد ذلك ومات اثنان نتيجة الطعن. وفتحت الجيوش نيران أسلحتها في كلكتا وأسفرت عن جرح ٣ أشخاص مات أحدهم بعد ذلك واستمرت حوادث الشغب في دهاكة وبلغ عدد القتلى ٦٧ شخصاً.

في ٢٦ سبتمبر قتل شخص واحد وجرح اثنان في بمبي. وانفجرت حوادث الشغب الطائفية في آغرا حيث قتل ٧ أشخاص وجرح ١٠٠ آخرون وفرض حظر التجول لمدة ٢٤ ساعة واستمرت حوادث الاعتداء في دهاكة، وأعلن المسلمون في اله آباد الإضراب احتجاجاً على فرض ضرائب تأديبية.

في ٢٧ سبتمبر أعلن عن حوادث قتال استخدمت فيها السكاكين في بمبي أسفرت عن مقتل ثلاثة أشخاص وجرح ١٩ آخرين. وهناك ٧ حوادث قتل و١٤ جريحاً في كلكتا. في آغرا قتل ١٣ شخصاً وجرح ٢٠٠ آخرون وأحرق مسجدان وطعن شخص واحد وحدثت ٤ حوادث حريق في دهاكة وبلغ عدد الوفيات ٦٩ شخصاً.

وفي ٢٨ سبتمبر قتل ١١ شخصاً في اصطدام طائفي في (بارينباد)[1] وقتل ٦ أشخاص وجرح ٢٠ آخرون في بمبي. وأعلن عن حوادث اصطدام بالسكاكين والحجارة ومحاولات حرق متعمد في المدينة، وفي كلكتا قتل ٣ أشخاص وجرح ١٣ شخصاً واستمرت حوادث الطعن في اله آباد.

---

(١) هو الاسم الهندوكي الجديد لمدينة مظفر بور.

وفي ٢٩ سبتمبر اتخذ الوضع في بمبي اتجاهاً هاماً وأطلق رجال الشرطة ٢٨ طلقة أسفرت عن مقتل أربعة أشخاص وجرح ١٦ آخرين وحدثت ٦ حوادث طعن وفي آغرا أسفرت الحوادث عن قتل ١٨ شخصاً و٢٠١ جريح، وأحرقت ٤ مساجد ومدد العمل بحظر التجول لمدة ٢٤ ساعة لثالث يوم على التوالي واستمر التوتر في كلكتا. وفي تشاندبور قتل ٥ أشخاص وجرح ٢٥ آخرون وقامت الجماهير المشاغبة بمهاجمة ٤ قرى في دهاكه بجانب المدينة أسفرت عن مقتل شخصين وجرح ٢٥ آخرين. وفي مظفر بور بلغ عدد القتلى ١٣ قتيلاً و٤٠ جريحاً وأذيع القرار رقم ١٤٤ وأعلن عن حادثتي طعن في أحمد آباد.

في ٣٠ سبتمبر قتل شخص واحد وجرح ١٨ شخصاً في بمبي وأعلن عن حوادث اصطدام بالسكاكين في كل أنحاء المدينة وأعلنت حالة الطوارىء في بمبي وأحمد آباد واستمر الوضع متوتراً في اله آباد حيث طعن شخصان. وفي البنجاب في مدينة (هانسي) قتل شخص واحد وجرح ٣٠ في اصطدام طائفي وأعلن عن ٥ حوادث اعتداء في كلكتا حيث جرح ٩ أشخاص واعتقل ٢٠ آخرون. وجرت ٧ حوادث اعتقال في دهاكه قتل فيها شخصان ولجأ ٣٠٨٠ شخصاً إلى معسكر الهاربين وقدرت نتائج الحوادث في آغرا بـ ٣٠٠ وفاة و٢٥ جريحاً أو مفقوداً وتوقفت الأعمال البريدية وأعلن القرار رقم ١٤٤ في ولاية بشاور.